عمر بن شبة

للدكتور جواد علي

هذا مؤرخ ، من مدينة البصرة ، صاحب مؤلفات عديدة ، كانت مورداً لعدد غير قليل من مشاهير المؤرخين . رضي عنه أكثر رجال الحديث ، فقالوا عنه أنه كان صدوقا صادق اللهجة غير مدخول الرواية . ساهم في علم الحديث كما ساهم في علم الفقه . وأضاف إلى ذلك نظم الشعر ، وهو أمر صعب اجتماعه مع العلم بالحديث والفقه . ولكنه لم يستعمل شعره في الأغراض التي كانت تحط من قدر العالم ، كالإبتذال ، والمجون . فعد في طبقات الشعراء . ولم يثر شعره عليه الشكوك . ولم ينخفض من منزلته ومكانته بين أصحاب الصرامة والجد من العلماء .

والصفة الغالبة على صاحبنا رواية الأخبار ، لذلك تجد اسمه في أكثر كتب الأخبار القديمة والتأريخ . له فيها مقام وحظوة هذا البلاذري يأخذ منه ويدون أقواله في مواضع متعددة من كتابه « أنساب الأشراف » ويقول « حدثني عمر بن شبة »(٢)

وقد كان معاصراً له وزميلا . وهذا الطبري يأخذ منه وينقل من كتبه وقد كان في جملة الذين أخذوا إجازتهم منه . وقد ذكر اسمه في نحو من « ٢٠٠ » موضع من كتابه تاريخ الرسل والملوك »(٣) وأشار إلى اسم كتاب من كتب « عمر » التي نقل منها وهو « كتاب البصرة »(٤) فقال « وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب أهل البصرة فقال ... »(١) وقد نقل من كتبه الأخرى غير أنه لم يشر كعادته إليها ، حيث يهمل أسماء الكتب مكتفياً بالسند .

كان « عمر بن شبة » مولى لبني نمير ، ولد سنة ١٧٣ للهجرة . ونشأ في البصرة ، وله في القبيلة التي انتمى إليها مؤلف قيل له « كتاب أخبار بني نمير » وله مؤلفات أخرى في الأخبار والتاريخ والأدب بلغت « ٢٢ » مؤلفاً(٢) . في وصف بعض المدن الإسلامية الكبيرة وفي مقدمتها البصرة ؛ والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، ألف في كل واحدة من هذه المدن كتاباً وفي امراءها كتاباً آخر (٣) ولم يسجل له ابن النديم كتاباً في تاريخ بغداد ، عاصمة الخلافة و مقر الملك ، والمشائخ والعلم ، ولعله كان قد ألف فيها كتاباً لم تعه ذاكرة ابن النديم لأننا نجد له في الطبري أخباراً في تأسيس مدينة بغداد تدل على أنه كان قد خصص لها كتاباً(٤) ولم يسجل له ابن النديم اسم كتاب في تأريخ مدينة « سامراء » عاصمة الخلافة العباسية الأخرى ، وقد عاش فيها ، ونال جوائزها ، والظاهر أنها كانت غاضبة عليه فلم تستطع ضبط نفسها ، أو أنها أشفقت عليه ، فقبضت على روحه ، وهو فيها ، وأدخلت جسمه في جوفها ، سنة اثنتين وستين ومائتين ، ولكن بعد عمر طويل مديد ، بعد تسعين سنة من حياة شاقة متعبة . فأراحته من الحياة ، ومن حر البصرة الذي يشوي ذلك الجسم الذابل ، فيجعله يرقص رقصة « الرومبا » . وأنعمت عليه بتربة جافة لطيفة يستقي فيها إلى يوم يبعثون .

(١) الفهرس ـ ت لابن النديم ١٦٣ (الطبعة المصرية)
(٢) انساب الأشراف حـ ٤ ص ٨٢ ، ١٥٠ حـ ٥ ص ١٧٦ و ٢٦٥ و ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ .

(٣) فهرست الطبري (ترتيب دي غويه) ص ٤٠٨
(٤) الفهرست ص ١٦٣
(١) الطبري حـ ٦ ص ٦٦
(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٢ ص ١٤٩
(٣) الفهرست ص ١٦٣
(٤) الطبري تأسيس مدينة بغداد .

أعطمت أنفس وذابت قلوب يزدهيها الفناء في المعبود !
وتسامى الشعور يلهب فيها خلجات الإيمان والتمجيد
يا لهذا الصفاء ، يا لتجلي الله ، يا روعة الجلال الفريد !
لكأني بالكون يهتف : يارب ! . ويمضي مستغرقاً في الشرود
لكأني أحس وشك اتصالي لكأني أشم عطر الخلود !

* * *

أنا يارب قطرة منك تاهت فوق أرض الشقاء والتنكيد
فتى أهتدي إلى منبعي الأسمى وأفنى في فيضه المنشود
ضاق روحي بالأرض ، بالأسر ، بالقيد ، فحرر روحي وفك قيودي
ضمني ، ضمني إليك ، فقد طال انفصالي وطال بي تشريدي

فتوى عبد الفتاح طوقان

ولعمر كتب فى الشعر والشعراء ، وفى الأغانى ، وله كتاب فى أخبار الخليفة المنصور وفى أخبار محمد وابراهيم بن عبد الله بن حسن[١]. وقد نقل منه الطبرى فى أخباره عن خلافة أبى جعفر[٢] واعتمد عليه فى أخبار خروج محمد بن عبدالله ومقتله ، ومعاملة المنصور للطالبيين . وقد دون عمر صور بعض الوثائق وذكر بعض أساليب الخليفة فى استدراج خصومه ، فقال « كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه ، فكان محمد يقول لو التقينا مال إلى القواد كلهم . »[٣]. وقد سجل عدداً من هذه الرسائل والكتب التى بعث بها المنصور . أخذها من مظانها ، ومن الأشخاص الذين كانوا أصحاب علم بها . ومن السجلات الرسمية التى كانت فى قصور الخلفاء ، وعند أمناء القصور ، ولذلك كان عمل عمر بن شبة من هذه الجهة عملا رائعاً بالنسبة إلى طريقة الاستعانة بالنصوص والوثائق لتدوين التاريخ .

وفى جملة كتب عمر بن شبة التى ذكرها ابن النديم « كتاب أشعار الشراة » . و « كتاب النسب » و « كتاب التأريخ » و « كتاب السلطان » و « كتاب مقتل عثمان » ونجد نتفا من هذا الكتاب الأخير فى ثنايا تأريخ الطبرى ، فى حوادث مقتل الخليفة عثمان بن عفان[٤] . يظهر منها أن ابن شبة كان قد أخذ كتابه من كتاب آخر لمؤلف أقدم منه هو على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة[٥] . وهو من مشاهير المؤرخين وقد ألف كتباً كثيرة ذكر أكثرها ابن النديم[١] . وذكر قسماً منها مؤرخون آخرون[٢] . استعان بها جماعة من علماء الأخبار والتاريخ . وقد كان للمدائنى مؤلف فى مقتل الخليفة عثمان ابن عفان قال له ابن النديم « كتاب مقتل عثمان بن عفان »[٣] .

(١) « كتاب أخبار المنصور » « كتاب محمد وابراهيم ابن عبد الله بن حسن » . الفهرست ص ١٦٣

(٢) طبرى حـ ٩ ص ١٨٣ حوادث سنة ١٤٤ فما بعد

(٣) طبرى ٩ ــ ٢٠٥

(٤) ــ ١٣٨

(٥) المدائنى : الفهرست ص ٢٤٧ ، وتوفى على رواية أخرى سنه ٢١٥ وفى سنه ٢٣٤ على روايه . إرشاد حـ ٥ ص ٣٠٩ .

(١) الفهرست ١٤٧ وما بعدها

(٢) الفهرست ١٤٩

يظهر من تأريخ الطبرى أن ابن شبة رواه عنه وعن طريق ابن شبة نقل الطبرى منه[٤] . وأن كتاب عمر إنما بنى عليه .

ونجد فى الصفحات التى دونها الطبرى عن خروج على بن أبى طالب إلى البصرة ومعركة الجمل أخباراً مصدرها عمر بن شبة ، يظهر منها أن هذا المؤرخ كان قد ألف كتاباً فى معركة الجمل ، أو أنه روى للطبرى كتاب شيخه المدائنى وهو كتابه الذى قيل له « كتاب الجمل »[٥] . ويظهر أيضاً أن عمر بن شبة قد استفاد من كتب المدائنى فى تأليف كتبه . وأنه كان لتوجيهه أثر كبير فى طريقة عمر فى التأريخ .

وكان فى جملة مشايخ عمر جماعة من جهابذة الأدباء ، مثل عبد الملك بن قريب الأصمعى المتوفى بين سنتى ٢١٥ و ٢١٧ للهجرة[٦] . من كبار علماء البصرة ومن المقربين للخلفاء ، وصاحب علم غزير فى اللغة والأدب والنحو والأخبار . ومثل محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ للهجرة[١] . كما أخذ من جماعة من كبار رجال الحديث . وقد روى عنه عدد من مشاهير رجال الأدب والأخبار مثل أحمد بن يحيى ثعلب العالم النحوى الشهير[٢] . وأحمد بن يحيى البلاذرى ، والطبرى . وغيرهم فضلا عن عدد آخر نقل من كتب هذ المؤرخ الذى يمثل طريقة أهل البصرة فى رواية الأخبار . أما أحمد بن عمر بن شبة أبو طاهر فقد كان شاعراً ظريفاً مجيداً راوية ولكنه لم يكن مؤلفاً ومؤرخاً على شاكلة أبيه . لقد ورث كتب أبيه ، ولكنه باعها إلى على بن يحيى أبى الحسن ، وقد ضاعت أكثرها مع الأسف ولم يبق منها غير القليل[٣] .

الدكتور جواد على

(٣) الفهرست ص ١٤٩

(٤) الطبرى ٥٠ ــ ١٥٣ ومواضع أخرى

(٥) الفهرست ١٤٩

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ١٠ ــ ٤١٠ . تهذيب التهذيب ٧ ــ ٤٦٠ اليافعى مرآة الجنان ٢ ــ ٦٤ ، البغيه للسيوطى ص ٣١٣ .

(١) تأريخ بغداد ٢ ص ٢٧٢ وارشاد الاديب ٦ ص ٤٧٣ والبغيه للسيوطى ص ٢٩ .

(٢) الفهرست ص ١١٠

(٣) الفهرست ص ١٦٣